وإني تأملت فوجدت فيه عشر آفات هي مبدأ أصول هذا الشأن الأولى أن
في كثرة الأكل قسوة القلب وذهاب نوره روي عن النبي عليه الصلوة والسلام
أنه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزرع إذا
كثر عليه الماء ولقد شبهه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب
تغلي والبخار إليه فكثرة البخار تكدره وفي حكمة اليونانيين في كثرة الأكل فتنة يثور
الأعضاء وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فإن البطن إذا كان شبعان
بطرًا اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام أو فضول والأذن
الاستماع إليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي إليه وإن كان
جائعًا فيكون الأعضاء كلها ساكنة هادية لا تطمع إلى شيء منها ولا ينبسط
لها ولقد قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله إن البطن عضو إن جاع شبع
سائر الأعضاء يعني تسكن فلا تطالبك بشيء وإن شبع جاع سائر الأعضاء
وجملة الأمر أن أفعال الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه إن دخل الحرام
خرج الحرام وإن دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر للأفعال والأقوال
يبدو منه الثالثة أن في كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تذهب الفطنة
ولقد صدق الداراني رحمه الله حيث قال إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا
والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل وهذا أمر ظاهر
علمه من أخبره الرابعة أن في كثرة الأكل قلة العبادة لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل

أيها المحبوس في رهن الطعام سوف تنجو إن تحملت الفطام
ولتكن في الجوع طعام وافر وافتقد هذا وارتجي يا نافر
أغنه بالنور كن مثل البصر وارفق الأملاك يا خير البشر

ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وإن اجتهد إلا النوم
فيكون كالجيفة الملقاة ولقد قيل إذا كنت بطنًا فعد نفسك زمنًا ولقد ذكر عن زكريا
عليه السلام أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات
التي بها أصيد بني آدم قال فهل لي فيها شيء قال لا إلا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك
عن الصلوة قال يحيى عليه السلام لا جرم أني لا أشبع بعدها أبدًا فقال إبليس لا جرم إني
لا أنصح أحدًا أبدًا فهذا فيمن لم يشبع في عمره إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة
ثم يطمع في العبادة وقال سفيان فالعبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة
الخامسة أن في كثرة الأكل فقد حلاوة العبادة قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
ما شبعت منذ أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ أسلمت
اشتياقًا إلى لقاء ربي وهذه صفات المكاشفين وكان رضي الله عنه مكاشفًا وإليه
أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم أبو بكر بفضول صوم أو صلوة وإنما
فضلكم بشيء وقر في نفسه وقال الداراني أحلى ما تكون العبادة إذا التزق ظهري
ببطني السادسة أن فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لأن الحلال لا يأتيك إلا قوتًا
ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحلال لا يأتيك إلا قوتًا والحرام يأتيك جزافًا
السابعة أن فيه شغل القلب والبدن بتحصيله أولًا وبتهيئته ثانيًا
ثم بالمطلب ثالثًا بأفراغه والتخلص عنه رابعًا ثم بالسلامة من خامسًا أن يتدوهن
الخامس البدن من آفات وعلل ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة

Copyright © King Saud University